المحاضرة رقم 01: ماهية علم النفس المرضي.

تمهيد:

يعتبر علم النفي المرضي كفرع من فروع علم النفس و الطب العقلي، يختص بالدراسة العلمية للاضطرابات النفسية و السلوكات الغير سوية و المرضية. يعتبر هذا العلم حديث و يرجع الى بدايات القرن 20 إلا أن له جذورا تاريخية عميقة. أول من استعمل كلمة psychopathology هو الطبيب الألماني "هيرمان ايمينقوس Emminghaus.H في" في 1878. تؤكد الدراسات المعاصرة أن فهم الظواهر النفسية المرضية و الاضطرابات النفسية لم يعد يقوم على تفسير أحادي العامل، بل يتجه نحو نماذج متعددة المستويات، تجمع بين العوامل العصبية الفيزيولوجية، المعرفية و الانفعالية، إضافة الى دور العلاقات الاجتماعية و السياق الثقافي للمرضى.

1- تعريف علم النفس المرضي:

- تعريف الجمعية الأمريكية للطب العقلي APA: عرفته في 2018 على أنه الدراسة العلمية للاضطرابات النفسية، بما في ذلك أسسها النظرية، أسبابها، أعراضها، تطوراتها، و تشخيصها و علاجها.
- تعريف Andrew Sims في كتابهnew oxford textebook of psychiatry 2021: علم النفس المرضي هو الدراسة المنهجية للخبرة و الادراك و السلوك الغير عادي.
- تعريف Stanghillini و Broome في كتابهما psychopathology as the basic science of psychiatry 2014: التخصص الذي يوم على تقييم و إعطاء معنى للذاتية الإنسانية غير العادية و المضطربة.
- تعريف Carter Kenneth في psychopathology 2023: علم النفس المرضي هو مجال يهتم بدراسة الاضطرابات النفسية، فهمها، تشخيصها ، علاجها و الوقاية منها.

انطلاقا من هذه التعاريف يمكن القول أن:" علم النفس المرضي مفهوم يستخدم للدلالة على اختصاص علمي يقوم بدراسة الظواهر النفسية المرضية بطريقة منهجية، مع الأخذ بعين الاعتبار للخبرة الذاتية و الادراك الشخصي و الانفعال و السلوك، من أدل وصف الاعراض و و فهم تطورها و العوامل المسببة لها، هذا كله مع الاستفادة من علم أخرى قريبة كعلم الأعصاب و العلوم الاجتماعية".

1- نبذة عن مراحل تطور علم النفس المرضي:

أ- فترة ما قبل التاريخ: هي مرحلة اكتشاف الجسم و أعضائه حيث أن الأمراض النفسية تكون تابعة للأمراض الجسمية و لعلاجها لابد من علاج الجسم. تم تقسيم الأمراض النفسية و العقلية آنذاك الى: الهذيانات و الهوس و كان يتم معالجتها بالحوار، القراءة، المسرح و العلاج الدوائي و الجسمي. دام هذا الاعتقاد الى غاية العصر الكلاسيكي.

ب- العصر الكلاسيكي: هو عصر اكتشاف مرض الجنون و تفرقته عن التشرد و الانحراف. وصفه Voltaire 1775-1825، كمرض للعضو و الدماغ الذي يمنع صاحبه بالتفكير و التصرف كالآخرين.

ج- ولادة الطب العقلي: مع نهاية القرن 18 على يد كل من Pinel و Esquirol، مؤسسا الطب العقلي اللذان اعتبرا أن الأمراض العقلية منفصلة عن الأمراض الجسمية و قاما بوضع أول تصنيف لها و هي: الهوس، المنخوليا، الخبل و الغباوة.

د- نهاية القرن 19 و بداية القرن 20: فترة ظهور التحليل النفسي و تصنيف الأمراض العقلية على يد Kraepelin. E. أثر التحليل النفسي عبر تغيير أسباب الاضطرابات النفسية الى محتويات اللاشعور (الغرائز و المكبوتات)، أما Kraepelin فقد اكتشف الخبل الأولي عند الأطفال و ذهان الهوس و الاكتئاب، لكنه بقي وفيا لفرضية تبعية الأمراض العقلية للجسم.

و- علم النفس المرضي ل Jaspers: ظهر علمه بداية من 1913. أضاف مصطلح السيرورة المرضية و التي تعني نمو الأمراض العقلية و تطورها مع تغير أعراضها العيادية. قسم "جاسبر" الاضطرابات العقلية الى نوعين: الاضطرابات المفهومة و هي عبارة عن استجابات مرضية أين مضمونها مرتبط بالحدث الأصلي و الأعراض لم تكن لتحدث لولاه، أما النوع الثاني فهي الاضطرابات الغير مفهومة و هي اضطرابات تغزو الحياة النفسية و تقوم بتغييرات نفسية جذرية.

ن- الفترة الحالية: شهدت نهاية القرن الماضي تطور نظريات جديدة كالمدرسة السلوكية و المعرفية مع بقاء التحليل النفسي كأحد النظريات المؤثرة في فهم الاضطرابات النفسية و العقلية. تميزت كذلك بظهور الأدوية العقلية و تطورها و تطور كذلك الطب العقلي البيولوجي (دراسة دور النواقل العصبية في ظهور الأمراض العقلية) و ظهور النموذج البيولوجي النفسي الاجتماعي و الصحة العقلية مؤخرا.

2- علاقة علم النفس المرضي بالعلوم النفسية الأخرى: من بين هذه العلوم يوجد:

* علم النفس الاجتماعي: يدرس العمليات و المفاهيم و المواقف النفسية التي تنشأ صمن التفاعل الاجتماعي بين الأفراد و الجماعات و يساهم في فهم الاضطرابات النفسية من منظور اجتماعي مثل الانفعالات و الاعتقادات و التأثيرات الاجتماعية.

* علم النفس التربوي: يهدف الى دراسة و تحسين السلوك التعليمي و التربوي للمتعلمين و المعلمين و المنظمات التربوية، و هو يساهم في تقديم الخدمات التربوية و التعليمية للذين يعانون من الاضطرابات النفسية، إضافة الى تطوير السياسات و المناهج التي تساهم في تعزيز الجودة و الكفاءة التعليمية و التربوية.

* علم النفس الاقتصادي: دراسة السلوك الاقتصادي للأفراد و الجماعات المصابين بالاضطرابات النفسية و كيفية تأثير العوامل الاقتصادية على الصحة النفسية و الاجتماعية و البيئية و كيفية تحسين المساواة و الرفاهية الاقتصادية.

3- أهمية علم النفس المرضي: تتمثل أهميته فيما يلي:

- هو مجال مفيد و مهم للمجتمع و الانسانية فهو يساعد في فهم الاضطرابات النفسية و مواجهتها، كما يسعى الى تقديم الحلول للمصابين و تحقيق الرفاهية و الصحة لهم و لمن حولهم.

- هو مجال متجدد و متطور باستمرار تبعا للتغيرات العلمية و التكنولوجية لدى المجتمع و الثقافة، كما يحاول التكيف معها و الاستفادة منها في تحسين خدماته و برامجه و تدخلاته.

- هو يسعى كذلك الى تطوير العلوم الأخرى و الثقافة و الأخلاق بما يخدم الإنسانية و البيئة.

خلاصة:

نستخلص من كل هذا أن علم النفس المرضي يرتكز على دراسة الاضطراب النفسي و العقلي، هذا الاضطراب الذي شهد تطورات و تغيرات في مفهومه عديدة و متنوعة (من حيث التعريف، الوصف، التصنيف و غيرها)، كما أن دراسة الاضطراب النفسي تتداخل مع فرضيات و حقائق علوم أخرى تشكل في مجملها أهمية و ضرورة اجتماعية و إنسانية ملحة خصوصا في عصرنا الحالي.